الفصل الرابع

شروس – ويغو

الفصل الرابع

شروس – ويغو

تقع قرية شروس القديمة – فيما يعرف إداريا – بمنطقة الحرابة. وتبعد عن قرية تندميرة، إلى الجنوب الشرقي، بحوالي 8 كم. ولم يبق اليوم قائما في أطلالها سوى المسجد العتيق. وبما ان قرية شروس كانت تعتبر بمثابة مركز جبل نفوسة، فلقد تعرض لذكرها المؤرخون والجغرافيون. وتحدثوا عنها كما لم يتحدثوا عن غيرها من قرى المنطقة. وعلى رغم ما زودتنا به المصادر من معلومات فهي – في الحقيقة – غير كافية لتكوين صورة مرضية عن هذه القرية المميزة.

فالجغرافي ابن حوقل – مثلا – يقول:

جبل نفوسة جبل عظم. ويبلغ طوله مسيرة ثلاثة أيام. وله منبران باثنتين من المدن. إحداهما مدينة شروس، وتقع في وسط جبل نفوسة. وتحتوي على عيون عذبة، بالإضافة إلى أشجار العنب والتين. ويعيد الشعير المحصول الرئيسي، الذي يتخذ منه السكان طعاما أساسيا.[240]

وأما ياقوت البغدادي، وهو الأوحد، الذي يحاول إيجاد معنى لاسم شروس، فيقول عنها: شروس من الممكن ان تعني عقيم. ويحتمل ان تنطق بحرف الشين في أولها. وهي مدينة عظيمة بجبل نفوسة، باتجاه افريقية (تونس). وتمتد مبانيها على رقعة واسعة. وتمتاز بكثافة في السكان. وهي حاضرة الجبل، وسكانها من الخوارج الأباضيين. ولا

240– ابن حوقل ، نفس المصدر، ص 94–5.

يوجد بها أو بالقرى التي تحيطها، وتبلغ حوالي 300 قرية، جامع. وأهلها لا يتفقون على أمام يقدمونه للصلاة. وان المسافة بينها وبين طرابلس تبلغ مسيرة خمسة أيام.[241]

وينتقل البكري معلوماته بخصوص شروس عن محمد بن يوسف الوراق، ويؤكد على أهمية شروس كمدينة رئيسية بجبل نفوسة. وهو أيضا ينفي وجود أي جامع بها أو بأي قرية من حولها. كما يشير إلى ان عمرو بن العاص كان أول فاتح لمدينة شروس في العهد الإسلامي، حيث كان المسيحيون يستوطنونها. ويذكر ان عمرو قد غادرها اثر تسلمه رسالة من الخليفة عمر بن الخطاب.[242]

وأما كتاب الاستبصار، الذي يعتبر مجهول المؤلف، فيكرر شيئا من المعلومات السالفة الذكر. ويشير إلى شروس على إنها مدينة قديمة وعظيمة. ويعيد ذكر غياب الجامع، ذلك لان أهلها لا يؤدون صلاة الجمعة. ويرجع هذا إلى تعاليم المذهب الأباضي الذي يعتنقه السكان. ويختم الحديث عنه، بان جبل نفوسة مليء بعديد من الأمم ذات الأفكار والمعتقدات المختلفة. ولكن معظم الأهالي يعتنقون الأباضية.[243]

ولا يتعامل الشماخي مع شروس كموضوع مستقل، بل يشير إليها عندما يتعرض لذكر أحداث تتعلق بهذه القرية. واللافت للنظر ان الشماخي لا يعيد أي من المعلومات التي جاء ذكرها في أي من هذه المصادر السابقة. ومن المستبعد ان نعتقد انه لم يطلع على أي

241- الشيخ ياقوت البغدادي، معجم البلدان، القاهرة، 1906، المجلد الثامن، ص 78.

242- البكري، نفس المصدر، ص 9.

243- م. نجم العبار، ليبيا في كتب التاريخ والرحلات، بنغازي، 1968، 58-9.

من هذه المصادر. ولكنه كأباضي يؤرخ للأباضيين يعتمد كثيرا على التراث الأباضي. ولا يهتم بهذه الشذرات المتفرقة التي لا تشكل مثار اهتمام لنهجه التاريخي، وهو يركز بالدرجة الأولى على سير المشاهير من علماء نفوسة. ولكننا نراه يؤكد على عبارة ان شروس أم لقرى جبل نفوسة.[244]

وإذا تجاوزنا الكتاب السابقين، الذين يكررون نفس المعلومات تقريبا، فالكتاب المحدثون لم يقدموا لنا الكثير عن هذا الموقع الأثري المميز. فباسي (R- Basset) مثلا ،يعيد نفس المعلومات ،التي ذكرها ابن حوقل والبكري والشماخي .ولكنه يضيف بان شروس عبارة عن أطلال ولا يقوم بها إلا المسجد المعروف بأبي معروف[245].

ويصف ليفسكي شروس بمثل ما ذكر في المصادر السابقة. ويعتمد على الشماخي في القول بان شروس كانت مركزا للقوافل.[246] وعلى الرغم من المعلومات المتكررة، يضيف شيئا جديدا، عندما يذكر ان أطلال قرية شروس قد عرفت باسم أبي معروف، الرجل العالم الذي ينتمي إلى القرية ذاتها. ويشير إلى إنها تقع في واد عريض يعرف بوادي شروس. وتدل الآثار المنتشرة على رقعتها الواسعة، على إنها كانت من الأهمية بمكان. ويقف في وسط هذا الموقع المسجد الذي يحتوي على خمسة أروقة. والارتفاع الكبير الذي يتميز به يدل على ماضيه الزاهر.[247] ويسترسل قائلا: ويقع القصر إلى جانب المسجد، بينما يوجد إلى الشرق منه، السوق الملاصق للحي اليهودي.

244- الشماخي، السير، ص 273.

245- باسي، نفس المصدر، ص 455-6.

246- ليفسكي، نفس المصدر، ص 43-4.

247- المصدر السابق، ص 44.

وأما موتيلنسكي (Motylinski) فلا يذكر الشيء الكثير عن قرية شروس .ولكنه يؤكد على أهميتها في جبل نفوسة .واغلب حديثه يدور حول مشائخها العلماء[248]. ويعتمد في ذلك على كتاب (السير) للشماخي.

لقد أسست قرية شروس القديمة على تلة صغيرة. تكتنفها الجبال من الجهة الشمالية الشرقية والشمالية الجنوبية. وتطل في الجهة الغربية على وادي شروس. (أنظر شكل 109) وليس ثمة من طريق يصل إلى هذا الموقع. ولكن الزائر إلى هذه القرية، عليه السير في طريق ضيق ينحدر إليها من أعالي الجبال. وثمة وسيلة أخرى تتمثل في القدوم إليها عبر الوادي. ولكن هي الأخرى تفتقد الطريق الممهد. وهذا ربما لا يشكل صعوبة على الزائر العادي المعافى. ولكنه يخلق إشكالية عويصة بالنسبة للباحث الذي يحتاج إلى المعدات، بالإضافة إلى مولد للكهرباء، للحاجة إليه في التقاط الصور ورسم المقاطع الهندسية داخل المسجد. وهذا مما يجعل المرء مقدرا لعمل الدواب.

وحقيقة ان هذا الموقع ليجذب الانتباه إذا ما قورن بأغلب مواقع القرى القديمة بجبل نفوسة. فالقرى التي اشرنا إليها سابقا – مثلا – لم يؤسس أي منها على منخفض من الأرض. وإذا عرفنا ان ما جعل تلك القرى تبنى في مواقع مرتفعة هو المنعة من العدوان، فشروس قد توفر لها هذا الوضع بموقعها الحالي. ولقد اشرنا سلفا إلى حملات عسكرية لم تستطع الاستيلاء على شروس. وكان عمرو بن العاص بدعا في هذه القاعدة. ولم تزودنا المعلومات التاريخية بمثل واحد يخالف هذه المقولة. ويبدو ان تفسير الأمر غاية في البساطة. فموقع شروس في وسط الجبل يحتم على من يود الاستيلاء عليها التغلب على

248– موتيلنسكي، نفس المصدر، ص 100.

كثير من القرى المحصنة قبل الوصول إليها. ولقائل، انه من السهولة الوصول إليها عبر اختراق وادي شروس، عن طريق سهل الجفارة. وربما يكون هذا صحيحا من الناحية النظرية. ولكن هذا الطريق – في الحقيقة – مع سهولته يحتوي على شرك مميت. فوجود الجيش المهاجم في الوادي يجعله عرضة لكثير من الأخطار المتمثلة في القرى المطلة على الوادي قبل الوصول إلى قرية شروس.[249]



شكل **109** منظر عام لمدينة شروس القديمة

وربما يعود الفضل إلى هذا الموقع في تمتع شروس بالسلام والاستقرار لفترة طويلة من الزمن. ولا تشكل مصادر المياه إشكالية لهذه القرية، إذ ان عين الماء الرئيسية تتموضع بشرق القرية. وإضافة إلى ذلك ثمة عينان للماء في الجهة الغربية للقرية.

249– الشماخي، السير، ص. 243–4، 54، أنظر أيضا، علي معمر. نفس المصدر الجزء الثاني، ص 181.

وتنتشر اليوم بقايا الآثار بقرية شروس على مساحة واسع. ولا تزال أجزاء من مبانيها القديمة ماثلة للعيان. كما يرى إلى الشمال الشرقي من المسجد، الذي يتوسط الموقع، ما ينبئ بوجود مبنى كبير في الماضي. ومع غياب الحفريات في هذه المنطقة، لا يزال الوقت مبكرا كي يزعم المرء انه قصر للتخزين.[250] (أنظر الشكل 110) ويشار إلى شرق هذا المكان بسوق القرية. ويقع الحي اليهودي في الطرف الشمال الشرقي من القرية. ولقد وجدت بهذا المكان بعض شواهد القبور العبرية.[251] ويشاهد على قمة الجبل المطل على القرية من الجهة الشمالية الشرقية مبنى كبير يعرف بمكتبة أهل نفوسة، وفقا للرواية التاريخية (أنظر شكل 111).



شكل **110** مبنى متصدع بوسط مدينة شروس

وأهم ما يلفت النظر اليوم في شروس هو المسجد القائم بين الأنقاض. وترجع حالته الجيدة، مقارنة ببقية المباني إلى الترميمات التي زاولها الأهالي جيلا بعد جيل. وعلى الرغم من هجرة الناس

250– لينسكي، نفس المصدر، ص . 44.

251– هذه الكتابة سيتم العوة إليها في هذا الفصل.

لهذه القرية منذ فترة طويلة، فزيارة المسجد والاعتناء به لم يتوقفا طوال هذا الزمن.[252] ويشير الأهالي إلى قرية شروس باسم (خربة أبي معروف) أما فيما يتعلق بالمسجد فلا ينسبونه إلى غير هذا الرجل، الذي حكم شروس لفترة ما.[253]



وعلى الرغم من أهمية هذا الموقع ومسجده القديم، فلقد رأينا كيف تجاوز الكتاب السالفي الذكر الحديث عنهما بإسهاب. ولذا سيكون همنا في الصفحات التالية القيام بمحاولة لسد هذه الفجوة. وربما تكون هذه المحاولة إسهاما في إلقاء المزيد من الضوء على أشهر قرية في تاريخ جبل نفوسة.

252– انها لعادة قديمة في هذه المنطقة. فالقرى التي تحيط بشروس ملتزمة بالحفاظ على مسجد قرية شـــروس. وكل قرية مسئولة عن اصلاح جزء معين بالمسجد، والمحافظة عليه. ولا تزال هذه العادة جارية إلى اليوم.

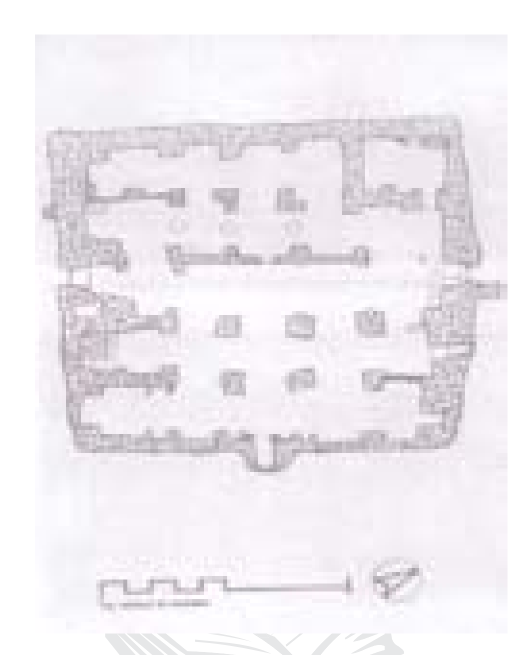
253– لا زال الكثـــير من الناس في منطقـــة الجبل والمزاب يحرصون على زيارة مســـجد شروس. وبالاضافة إلى ذلك فأهل قرية مرقس، التي تبعد حوالي 8 كم. إلى الشـــرق من قرية شروس، لا زالوا يخصصون يوما كاملا في السنة لزيارة هذا الموقع.



شكل 112 مسجد شروس ومدخله الجنوبي الغربي

ويقع مسجد شروس على تلة صغيرة، في الجهة الغربية من القرية القديمة. ويطل في الجهة الجنوبية الغربية على وادي شروس (أنظر شكل 112) ويميل مخططه الأرضي إلى شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ طول جداره الشمالي الشرقي بحوالي 15.30م. ويقدر طول الجدار الجنوبي الشرقي حوالي 12.90م. كما يبلغ طول الجدار الجنوبي الغربي حوالي 15.30م، والجدار الشمالي الغربي 14م تقريبا، بينما يبلغ سمك الجدران متر واحد (أنظر شكل 113).

يتراءى هذا المسجد للناظر، من الخارج، كقصر للتخزين، إلا انه مختلف شكلا وأصغر حجما (أنظر شكل 114). وأعمال الترميم، التي أجريت على هذا المعلم بالإمكان ملاحظتها، ليس فيما يخص الجدران وحسب، بل هي أكثر وضوحا في الدعامات الساندة لجدار القبلة (أنظر شكل 115). ويمكن رؤية (الصمعة)، التي تقع على سطح المسجد وفوق المحراب مباشرة، من مسافة بعيدة (أنظر شكل 116) وإنها لتذكرنا بمثيلتها في مسجد تندميرة.



شكل 113 المقطع الأفقي الأرضي لمسجد شروس



شكل 114 الجدار الجنوبي الغربي لمسجد شروس



شكل **115** مسجد شروس، حيث يبدو المحراب بارزاً إلى الخارج عن جدار القبلة



شكل **116** مسجد شروس، كما يبدو من الجهة الشمالية الشرقية و''الصمعة'' فوق السطح

ولقد بني هذا المسجد من الحجر والطين. يبدو ان يداً لم تلمسه بطلاء أبداً. ولذا يصعب على المرء تمييز المسجد عند الاقتراب من الموقع. وتلعب الصمعة هنا دورا في تحديد مكان المسجد (أنظر شكل 117) وللمسجد مدخلان، أحدهما في الجدار الشمالي الشرقي، ويبلغ عرضه حوالي 70 سم. وارتفاعه حوالي 1.5م. والمدخل الآخر

يقع قبالة الأول، في الجدار الجنوبي الغربي. ويبلغ عرضه حوالي 70 سم. وارتفاعه حوالي 1.10م. والأخير مغطى بحجر على هيئة عقد نصف دائري. وهو يذكرنا بمدخل مسجد تنومايت. والاختلاف بينهما منحصر في الكتابة، إذ تظهر في تنومايت غائرة في الحجر، بينما هي بارزة عن الحجر في شروس. وتقرأ كالتالي:

«لا اله إلا الله وحده لا شريك له
محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره
(على الدين كله ولو كره المشركون)»



شكل **117** مدينة شروس القديمة يتوسطها مسجد أبي معروف القديم

ويبدو مسجد شروس، بالنظر إلى مظهره الخارجي، اكبر مساحة من المساجد القديمة بجبل نفوسة. ولكن المرء لا يلبث ان تصيبه الدهشة، عند الدخول إليه ومشاهدة ما هو عليه من ضخامة قاعة الصلاة وارتفاع السقف. وهذه الدهشة لا تلبث ان تتبدد عندما

يعرف المرء ان نصف المسجد تقريبا مدفون في باطن الأرض. وهذه الظاهرة شائعة في مساجد ومباني الجبل، إلا إنها في مسجد شروس تبدو أكثر حضورا وجذبا للانتباه.

وتتكون قاعة الصلاة من خمسة أروقة، مغطاة بأقبية برميلية. ولقد أدت عمليات الإصلاح والترميم إلى اختفاء الأعمدة الأصلية، داخل الدعامات المستحدثة. وتبدو الترميمات أكثر وضوحا في السقف، حيث يعتقد ان هذا الجزء من المسجد كان أكثر الجهات المتضررة. وعلى الرغم من كثرة أعمال الترميم. لازال المسجد لحسن الحظ محتفظا بمعالمه الأصلية.



شكل 118 كتابة أثرية على المدخل الجنوبي الغربي لمسجد شروس

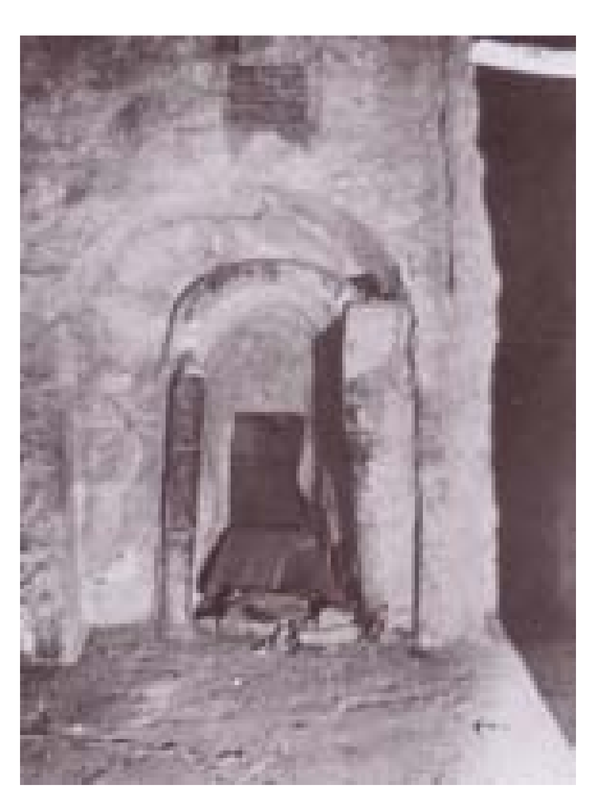
ولعل ما يلفت الانتباه في قاعة الصلاة، ذلك الحاجز الحجري، الذي يمتد من الجدار الجنوبي الغربي باتجاه الحائط المقابل. ولكنه يتوقف

على مسافة تبلغ حوالي 2.14م، قبل الاتصال به.[254] ولقد تسبب هذا الجدار في إغلاق أربعة عقود في الرواق الثالث. ولكنه لا يرتفع ليبلغ قمة العقود والسقف. ويبلغ طول هذا الحاجز حوالي 8.5م. بينما يبلغ سمكه 40 سم تقريباً.

ولقد أدى هذا الحاجز إلى تقسيم المسجد إلى قسمين. احدهما يتكون من ثلاثة أروقة ويخص الرجال. وهو الجزء الذي يوجد به محراب المسجد والآخر، الذي يرجح انه مخصوص بالنساء، يتكون من رواقين. ونلاحظ ان القسم الأول متميز بكتاباته الأثرية وأشكاله الزخرفية ومعالمه المعمارية. ولذا سنتناول بتفصيل دقيق كلا من القسمين. ولكي يكون الأمر أكثر يسرا للاستيعاب، وأسهل لمتابعة الوصف والمناقشة، رأينا ان نرقم الأروقة بالتسلسل، ابتدءا برواق القبلة. وهو الذي يمتد من الجدار الشمالي الغربي إلى الجدار الجنوبي الشرقي، موازيا لحائط القبلة (أنظر شكل 113).

الرواق الأول: لقد تسببت الترميمات في هذا الرواق إلى طمس معالم المحراب الأصلي (أنظر شكل 119). ولكن سيظل محراب مسجد تندميرة أمام أعيننا لإعادة رسم صورة لمحراب مسجد شروس. وذلك لما يبدو من تماثل يوحّد المحرابين. ويبلغ عرض المحراب الحالي حوالي 80 سم. ويقدر عمقه بحوالي 1.25م. ويكتنف المحراب عمودان صغيران، كما هو الحال في محراب تندميرة. وبالنظر إلى المحراب، يوجد حجر ذو شكل شبه مستطيل ملتصقا بقيمة العمود (أنظر شكل 120). ويحتوي على سبعة أسطر من الكتابة. هي على النحو التالي:

254– ظاهرة الجدار الفاصل في المسجد نراها في كثير من مساجد الجبل ولقد لاحظنا فيما يتعلق بهذا البحث وجودها في كل من نالوت ، فرسطة، وأبنابن.



شكل 119 محراب مسجد شروس

سالم إبراهيم التمزيني

الصانع هذا الكمور

المبارك سليمان بن يو

سف العنقر التمزيني

سنة ثلاثة و (ا) ربعين

وميتان ألف صالح

بن عمر الباروني



شكل 120 الكتابة الموجودة على جدار القبلة، إلى اليسار، عند مواجهة القبلة

ويشبه هذا الحجر وكتاباته ما عثر عليه قرب المحراب بمسجد أبي منصور بتندميرة. والأخير مثبت على جدار القبلة مباشرة فوق المحراب. ويتماثل تعليقنا على حجر شروس بما جاء في التعليق حول

حجر تندميرة.[255] ولذا لا حاجة للتكرار. وما يضاف هنا ان الحجران هما من أحجار المسجد الأصلية. ولقد استعملها المرممون للكتابة. ويلاحظ ان أسلوب الخط في كل منها يختلف عن الخطوط الكوفية في كل من المسجدين. وهذا ما سنتعرض إليه بتفصيل أدق في الفصل المخصص للكتابات الأثرية التي عثر عليها بمنطقة جبل نفوسة.



شكل 121 كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس

ويوجد أيضا حجران آخران مثبتان على جدران القبلة. والحجر الذي على يمين الناظر إلى المحراب، تقرأ الكتابة التي عليه على النحو التالي:

«رحم الله

.... عبدا

الله ....»

والحجر الآخر يحتوي على كتابة، تتكون من سبعة أسطر.

255– أنظر أعلاه، الفصل الثالث، ص 61.

وتقرأ:

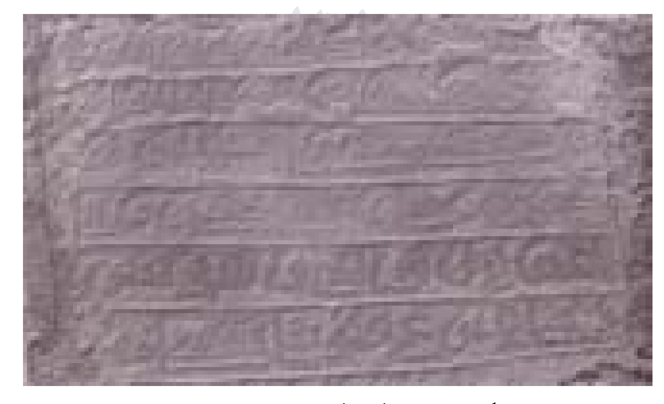
«رب اجعلني مقيم الصلاة ومن

ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا

اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

وهب لنا من لدنك رحمة».



شكل 122 كتابة أثرية بأعلى محراب مسجد شروس

ومن الواضح ان الحجرين بغير موضعهما الأصلي، إذ ان وضعهما الحالي على جدار القبلة جاء نتيجة لأعمال الترميم، ونتساءل عن اختيار هذا النص القرآني. وهل كان المقصود من كتابته مجرد الكتابة والتقليد لأمثلة أقدم عهدا، أم ان الأمر يرمز إلى قضية وجب التنبيه عليها في المجتمع الشروسي. ونحن نطرح هذا التساؤل مبكرا لما سيقابلنا من نصوص أخرى وجب ان نضعها في إطارها الاجتماعي.

وسنحاول في الصفحات التالية الاجتهاد والوصول إلى تفسير منطقي بشأنها. وذلك وفقا للمعطيات التي تطرحها التركيبة الاجتماعية لقرية شروس القديمة.

ويلاحظ في هذا الرواق – نتيجة للترميمات المتلاحقة – ان بعض الدعامات قد بولغ في حجمها. لدرجة إنها أدّت إلى تضيق مساحة الرواق. ويشمل هذا أحداث دعامات ملاصقة لجدار القبلة (أنظر شكل 123) ويبدو ان هذه الإضافة يقصد بها من ورائها دعم العقود المتقاطعة مع امتداد العقود في كل المسجد.[256] (أنظر شكل 124). وهذه العقود هي الأخرى تبدو مستحدثة على عمارة المسجد الأصلية.

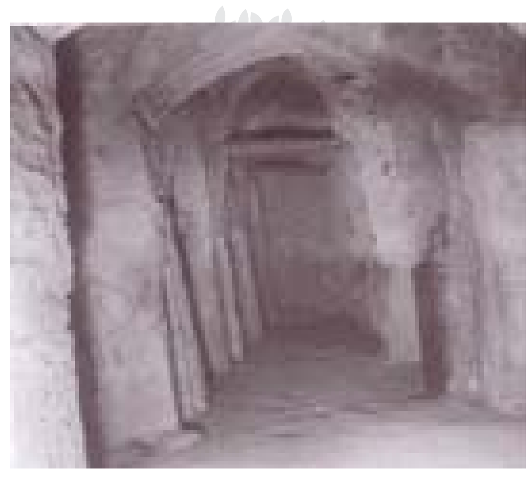


شكل 123 محراب مسجد شروس

256– إن بعض أهالي تندميرة الذين شاركوا في ترميم مسجد شروس، ذكروا لنا ان هذه العقود موجودة بالمسجد طوال حياتهم، التي قاربت 70 عاما.

انه لمن المناسب إلا نتجاوز رواق القبلة قبل إثارة مسالة غياب المنبر في هذا المسجد، الموجود بأهم قرية في جبل نفوسة. فلقد اشرنا إلى عبارة ابن حوقل، التي يفهم منها أن المنبر موجود بمدينتين في جبل نفوسة. ولقد أوضح ان إحداهما هي مدينة شروس.[257]

ولكن البكري وياقوت البغدادي ينفيان وجود المسجد الجامع في كل أنحاء جبل نفوسة.[258] ويفسر كتاب الاستبصار مقولتهما، بان الأباضيين بجبل نفوسة لا يصلون الجمعة. وهذا ما يجعله متفقا معها في عدم وجود المنبر بالجبل.[259]



شكل 123 رواق القبلة بمسجد شروس

ويبدو ان ما قاله البكري قد أسيئ فهمه من قبل الشيخ

257– ابن حوقل، نفس المصدر ، ص 9.
258– أنظر أعلاه، ص . 74.
259– المصدر السابق، ص 74–5.

الطاهر الزاوي. فهو إذ يحصر المسالة في إطار التوفيق الفقهي، غابت عنه وجهة النظر المعمارية. فالزاوي كان يعلم على أية حال برأي الأباضيين حول شروط إقامة صلاة الجمعة. وهي قاعدة يؤسس عليها المذهب الأباضي وجوب إقامة صلاة الجمعة. ويتلخص حكم إقامتها وجود الإمام العادل (أمير المؤمنين). وعلى الرغم من هذا، فهو قد حاول ان يقول لنا ان زيارة البكري قد توافقت مع غياب الإمام. ولذلك كتب البكري ما لاحظه، دون ان يسعى إلى معرفة سبب عدم إقامة صلاة الجمعة. وفي النهاية حاول الشيخ الزاوي شرح عبارة البكري: «ولا يوجد بها جامع بالقول ان المسجد الجامع غير موجود بها،[260] إذ انه ليس من المعقول القول بان المساجد لا توجد بجبل نفوسة".

والحقيقة ان عبارة البكري واضحة جدا. وهو يعني ان صلاة الجمعة لم تقم بشروس. وذلك لا ضرورة لوجود (منبر). والواقع ان مسجد شروس لا يوجد به منبر. ولا وجود لأثر يدل على وجود منبر في الزمن الماضي. والأمر الآخر ان البكري لم يزر قرية شروس،[261] بل كان ينقل حديثه حول شروس عن ابن الوارق.[262] وحتى مع افتراضنا جدلا، ان البكري قد زار شروس، فزيارته لا تتوافق مع غياب الإمام. فالحقيقة ان الإمامة المعترف بها في جبل نفوسة انتهت في أواخر القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي. وهذا ما يجعل غياب الإمام في قول الشيخ غير منطقي.[263]

260– الزاوي، معجم، ص 190، 206–7–8.

261– البكري، نفس المصدر، ص 9.

262– معلومات ينقلها البكري، عن محمد الوراق. أنظر البكري، نفس المصدر، ص 292، 263.

263– بـــوس وورث ، نفس المصدر، ص 22–3. وانظـــر أيضا، دبوز، نفس

وإذا حصرنا الأمر في المنبر وعلاقته بالأباضيين، فيجدر بنا ان نشير إلى أماكن أباضية أخرى، خارج جبل نفوسة. فنحن نعلم أن المنبر غاب عن عمارة المسجد الأباضي في جربة. وكذلك لم تكشف الحفريات عن وجود منبر بمنطقة المزاب. وهذا كله غير مستغرب بعد علمنا بالقاعدة الفقهية، التي يتبناها المذهب الأباضي. ولكن المستغرب هو ما ذكره شاخت (J. Schacth) عن أهالي منطقة البيول (Peuls) الذين لا يقيمون صلاة الجمعة ،مع أنهم ليسوا أباضيين[264]. وإذا نحن سلمنا بصحة هذه المعلومة، وجب علينا الاستغراق في التفاصيل لحل هذه الإشكالية. وعلى الرغم من ان الحفريات الأثرية بسدراته لازالت في مراحلها الأولى،[265] فالجزم بعدم اكتشاف منبر بمساجدها لازال مبكرا.[266] والحقيقة ان المعلومات التاريخية تؤيد هذا الجزم. ذلك لان سدراته أسست بعد سقوط الدولة الرستمية.[267] وبكلمات أخرى، فلا ضرورة لوجود المنبر في الفقه الأباضي مع غياب الإمام. ومع ان التراث الأباضي يقول بالإمام المكتوم في فترات الاضطراب والفتن، فلا يوجد في المصادر التاريخية، التي بأيدينا، ما يشير إلى هذا الزعم.

ومن المحتمل العثور على منبر بمدينة تاهرت. ذلك لأنها كانت مقرا للأئمة الأباضيين. وللأسف فالحفريات بهذه المدينة لم تبدأ بعد. رغم أهميتها التاريخية والأثرية. وعلى العموم فالتاريخ يشير تلميحا

المصدر، الجزء الثالث، ص 616–7–8.

264– شاخت، نفس المصدر، ص 15.

265– أنظر أعلاه، ص 110.

266– فان بيرشام، ســراته، ص 8، 27. أنظر أيضا دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 546.

267– المصدر السابق، ص 546.

إلى وجود منبر بتاهرت. فكتاب ابن الصغير يأتي فيه ذكر المسجد الجامع بتاهرت، أثناء حديثه عن الإمام عبد الرحمن.[268] واعتمادا على الفكر الديني الأباضي، فالإمام هو الشرط الأساسي في إقامة صلاة الجمعة. ولذا يرجح وجود المنبر بمدينة تاهرت.

ولقد ذهب شاخت إلى منتصف الطريق لحل هذا الأشكال. فهو يقول ان غياب المنبر بمنطقة البيول (Peuls) يعود إلى التأثير الأباضي على السكان[269]. ونحن لا نود الاختلاف مع شاخت حول هذه النقطة. ولكننا نتساءل، أي المناطق الأباضية كانت مسئولة عن هذا التأثير؟

ويبدو ان لنا ان الأمر لا يتعلق بالمناطق الأباضية في الجزائر، التي عناها شاخت. فالمنبر لا يظهر بالمساجد الأباضية الأولى في جبل نفوسة. ونحن نرى العودة إلى هذه المنطقة لإكمال الطريق، الذي سار فيه شاخت.

ونحن نعلم ان القوافل التجارية كانت تربط بين الجبل ومدينة تاهرت. وبالإضافة إلى ذلك، فالعلماء من نفوسة كانوا يزورون تاهرت منذ بداية تأسيسها. وبعد سقوط الدولة الرستمية، تركز الفكر الأباضي بجبل نفوسة. وهذا ما يجعلنا نرجح التأثير الذي ذكره شاخت إلى الأباضيين بجبل نفوسة.

الرواق الثاني: يلاحظ المرء في هذا الرواق الاختفاء الكامل للأعمدة داخل الدعامات المستحدثة. ونتيجة لهذا الأمر اختلف عرض الرواق من جهة إلى أخرى. وتبدو العقود المضافة هنا على

268– ابن الصغير، نفس المصدر، ص 12، 14.

269– شاخت، نفس المصدر، ص 16.

شكل العقد المثلث (أنظر شكل 125) ويظهر هذا النوع من العقود في الجبل بكل من نالوت، الجزيرة،[270] وقصر الحاج بسهل الجفارة. وفي نهاية هذا الرواق يوجد درج يقود إلى سطح المسجد (أنظر شكل 126) ووجود هذا الدرج، الذي ينتهي إلى فتحة مسدودة رأيناه في المساجد الأخرى. وربما يكون هذا الموجود بمسجد شروس أقدمها عهدا.



شكل **125** الرواق الثاني باعة الصلاة بمسجد شروس باتجاه الشمال الغربي

ويرى في نهاية هذا الرواق، قبالة الدرج،[271] تجويف عميق في الجدار؛ يبلغ عرضه حوالي 50 سم، وارتفاعه 83 سم تقريبا. وأحد الجانبيين لهذا التجويف مغطى بوحدة زخرفية (أنظر شكل 128).

270– يقع قصر الجزيرة على بعد 6 كم، إلى الشمال من قرية شروس. أما قصر الحـــاج فهو قصر للتخزين في قرية صغـــيرة، وتقع على بعد حوالي 151 كم. إلى الجنوب الغربي من مدينة اطرابلس. أنظر، الفن والعمارة الإسلامية في ليبيا، نفس المصدر، ص 38–9–40.

271– أنظر أعلاه ، ص 54، الجزء الثالث.



شكل 126 الدرج الذي يقود إلى سطح مسجد شروس، والذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد



شكل 127 تجويف في الجدار الشمالي الشرقي داخل قاعة الصلاة بمسجد شروس

وتتكون الزخرفة من ثلاثة أشرطة أفقية. ويبدو الأوسط منها اعرض من الشريطين الآخرين. ويظهر على الشريط الأول تعريق نبات يتكون من غصنين مع أقراص صغيرة. وبكل منهما في آخره حبيبة. وأما على الشريط الأسفل فتظهر الأقراص الصغيرة. وهذا العنصر الزخرفي رأيناه بكثرة في نماذج من الفن الإسلامي المبكر. وهو عنصر مستعار من الفن الساساني. وظهوره في جبل نفوسة. يعيدنا إلى ما ذكرناه، عند مناقشة موضوع الزخرفة في مسجد أبي منصور إلياس بتندميرة. وهذا مما يؤكد القول بتأثير الفن الإسلامي في الشرق على مناطق الغرب الإسلامي. وكذلك بتأثير القيروان وسوسة على جبل نفوسة.



شكل 128 حجر مزخرف مستعمل في حنية معقودة داخل مسجد شروس

ونحن لسنا بحاجة إلى القول بان الحجر لا ينتمي بوضعه هذا إلى مكانه الأصلي. ولكننا بحاجة ماسة إلى جمع كل الأحجار بهذا المسجد، والتركيز على دراستها وصولا إلى إرجاعها إلى مواضيعها الأصلية. وهذا الأمر يستلزم دراسة جادة حول مسجد شروس. ويتطلب أيضا

كثيرا من الوقت والجهد. وعلى العموم فهذا التجويف ذو الإطار المزخرف يحتمل ان يكون في يوم ما نافذة بالمسجد[272] ويستبعد ان يكون من التجويفات التي تستعمل لوضع مصابيح الزيت.

الرواق الثالث: يعتبر هذا الرواق الأهم بين جميع الأروقة. ذلك لأنه يحتوي على كتابات أثرية، زخارف، وعناصر معمارية لافتة. وما يجب التوقف عنده هو العقد الصغير، الموجود بمنتصف الجدار الفاصل بقاعة الصلاة. (أنظر شكل 129) ولا تتمحور أهميته على قيمته الفنية وحسب، بل لما يطرحه من أسئلة تتعلق بموضوعه الأصلي في المسجد. ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع يتعين علينا وصفا تفصيليا أكثر لهذا العقد.



شكل 129 الفتحة الموجودة بالجدار الفاصل داخل مسجد شروس

272– المصدر السابق، ص 68.

ويتكون العقد من أحجار جيدة القطع. ويظهر على الحجر، الذي يشكل مفتاح العقد كتابة كوفية بارزة (أنظر شكل 130) وتحتوي هذه الكتابة على ثلاثة اسطر. وهي تمثل الآية الكريمة (136، من سورة آل عمران. وتقرأ: « (قولوا) آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل (وإسحاق) ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من (ربهم) لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»).



شكل 130 كتابة أثرية وزخارف على العقد الموجود بالجدار الحاجز

ان أسلوب الخط هنا قيمته الفنية ليطرح العديد من التساؤلات. وهذا الأمر يبرز من آن لآخر في بعض مساجد جبل نفوسة. ولعل الأمثلة تتجلى، بالإضافة إلى هذا المسجد في أبناين ومسجد أبي منصور بتندميرة. والحقيقة ان المتجول في منطقة جبل نفوسة اعتمادا على المظهر العام لا يتوقع وجود ما يشكل قيمة في مجال الفن الإسلامي. ولذا رأينا تركيزا على هذا الموضوع تخصيص فصل بكامله يتعلق بهذا الشأن.

وتظهر فوق الكتابة الآنفة الذكر وحدات زخرفية (أنظر شكل 130) ويتكون مركز الوحدة الزخرفية من دائرتين تحيط إحداهما بالأخرى. ويشاهد في الدائرة الداخلية زهرة ذات ستة عشر فصا بينما تركت الأخرى خالية من الزخرفة، إلا من أقراص صغيرة تتوزع داخل محيط الدائرة. ونرى بكل قرص منها حبيبة في الوسط. ويكتنف الزهرة بمركز الوحدة الزخرفية، زهرتان مفصصتان اصغر حجما. ويحيط بكل منهما دائرة مملوءة بعناصر نباتية تشبه صدفة المحار. ويحصر كل هذه الوحدة الزخرفية، ماعدا الجزء العلوي، أشكال هندسية على هيئة العقود. ويتكون إطار هذه الوحدة الزخرفية من شكل معين. وأما الحجر الراسي، الذي يدعم العقد ويتوسطه، فقد زخرف بتعريفات نباتية. (أنظر شكل 129) وهذه الوحدة الزخرفية تتماثلا مع ما عثر عليه في أبناين وتندميرة.

وعند مواجهة هذه الأحجار المزخرفة، نرى على اليمين، حجر مدبب مغروس في الجدار. (أنظر شكل 131) ولقد رأينا مثلين لهذا الحجر بمسجد أبي منصور إلياس.[273] وسنتطرق إليها فيما بعد عند مناقشة وجود اليهود بقرية شروس. وهذه الأحجار الثلاثة تحتوي على زخرفة تمثل عقودا متلاصقة. ويتميز حجر شروس بكتابة لا تبدو ميسرة للقرأة (أنظر شكل 132، 133). والظاهر ان لا علاقة لها بالمسجد. ولكن الذين قاموا بأعمال الترميمات، يبدو ان لديهم الحس بالمحافظة على جميع الأحجار الجيدة القطع والأحجار المزخرفة، دون فهم لوظيفتها الأصلية أو مواضعها الأصلية.

وجدير بالقول ان الأحجار المكونة للعقد الصغير في الجدار

273– أنظر الفصل الثالث، ص 66.

الحاجز بمسجد شروس، تذكرنا بحائط القبلة في مسجد تندميرة.[274] وذلك للتماثل الزخرفي ونوعية الحجر المستخدم. ووجود هذه الأمثلة في شروس، لا يغير شيئا من النتائج التي توصلنا إليها عند مناقشة موضوع الزخرفة في جبل نفوسة، بل يؤكد ويدعم ما ذهبنا إليه من تفسيرات.[275] وهذه المقارنة – لاشك – إنها ستساعدنا، بالإضافة إلى أسلوب الخط في كتابة شروس، على تحديد التاريخ التقريبي لمسجد أبي معروف بشروس.



شكل 131 حجر مزخرف مثبت في الجدار الفاصل بقاعة الصلاة بمسجد شروس

274– أنظر الفصل الثالث أعلاه، ص 64–5.
275– المصر السابق، ص 68–9.



شكل 132 حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس

وانه لمن الواضح ان الأحجار التي بني بها هذا العقد لا تنسجم والأحجار المستعملة في بناء الجدار الحاجز. ويبدو هذا الأمر أكثر وضوحا عند النظر إلى هذا الجدار من داخل القسم المخصص للنساء (أنظر شكل 134). ومن البديهي ان يعتقد المرء ان هذا العقد بأحجاره المزخرفة، لا يمت بصلة إلى هذا الجدار. ويدلل على ذلك ان وضعيته بهذا الشكل لا يناسب النظر إلى ما وجوده على جدار القبلة، قياسا على ما وجد بمسجد أبي منصور إلياس وأبناين. ووجود

هذا العقد في هذا الموضع من مساوئ الترميمات. والمحافظة عليه ولو بهذا الشكل من محاسنها.



شكل 133 حجر مزخرف موجود بالجدار الفاصل بمسجد شروس

وفي كل الأحوال، فالسؤال الذي طرح في البداية يتعلق بالموضع الأصلي لهذا العقد والأحجار المحيطة به. فوضعيته على الجدار القبلة لا شك إنها أكثر موضوعية. ولكن الأمر لا يزال مكتنفا بالغموض. فالمسجد لم يكن يوما متحفا للمعروضات. ونحن – لحسن الحظ – لدينا مثل آخر بجبل نفوسة يوفر لنا مقياسا. أكثر مصداقية،

إلا وهو مسجد أبي منصور إلياس في تندميرة.[276] وبمقارنة المسجدين معمارا وزخرفة وكتابة يظهر لنا هذا التماثل الكبير بين المسجدين. ووفقا لهذه الحقيقة، يمكننا القول ان هذا العقد والأحجار المحيطة به، كانت على الأرجح من الأحجار الملبسة على جانبي المحراب وبداخل تجويفه، كما هو الحال في مسجد تندميرة.



شكل 134 قاعة الصلاة بمسجد شروس

ونلاحظ أيضا ان فوق هذا العقد الصغير عقدا آخر أكبر حجما. ولا جدال حول نسبة هذا العقد إلى الترميمات التي أجريت على المسجد. ومن المحتمل ان الجدار الحاجز بكامله، بل أغلب أعمال الترميم الشديدة الوضوح بكل المسجد تعود إلى القرن الرابع عشر الهجري – العشرين مسيحي. وهو ما يتفق مع الكتابة المؤرخة التي وجدت على حائط القبلة. وهي توضح القيام بأعمال الترميم في هذه الفترة.

276– المصدر السابق، ص 64–5.



شكل 135 قاعة الصلاة بمسجد شروس

ولقد تسبب العقد الكبير العلوي في وجود فراغ بينه وبين السقف. ولذا عمل المرمم على سد هذا الفراغ من جهة، ومن جهة توصل بعمله هذا إلى دعم السقف. وبقيت فتحة صغيرة قسمها عمود صغير إلى قسمين.

ويظهر على أربعة من أحجار العقد كتابات. سنقرئها بالتسلسل من اليسار إلى اليمين، بالنظر إلى جدار القبلة.



شكل 136 كتابة أثرية بالرواق الأوسط بمسجد شروس



شكل 137 كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

الحجر الأول:

«سبحان الله / العظيم».

الحجر الثاني:

«وقالوا (ا) لحمد/ الله الذي صد/قنا وعده و أو (ر) ثنا / الأرض نتبوأ من الجنة».

الحجر الثالث:

«(أشهد) أ (ن) لا / إله إلا الله و/ ان محمد (ا) عبد (ه) / ورسوله».

الحجر الرابع:

«(حسبي الله وهو) / الله وهو السميع / العليم».



شكل 138 كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

هذه الأحجار هي الأخرى ليست بموضعها الأصلي. ويبدو من خلال النظر إلى هذه الأحجار، التي وضعت في هذه الأماكن – كيف ما كان – ان المسجد قد تعرض في فترة ما إلى تصدع كبير.

وان الترميمات التي أجريت عليه، لم تكن إلا في وقت متأخر جدا. وهذا ما جعل القائمين بإصلاحه غير قادرين على إعادة هذه الأحجار إلى أماكنها الأصلية. هذا بالإضافة إلى غياب الحس العلمي لترميم المعالم الأثرية.

وثمة كتابة أخرى على حجر مثبت قرب منطلق العقد، الذي يقطع الرواق الثالث. (أنظر شكل 139). والكتابة تقرأ كالتالي:

«الله (أ) كبر / كبيراً والحمد / لله ربّ العالمين».



شكل 139 كتابة أثرية موجودة بالرواق الأوسط بمسجد شروس

الرواق الرابع: إن ما يلاحظه المرء عند دخوله إلى قسم النساء هذه الظلمة، التي تملأه حتى في أيام الصيف الشديدة الإضاءة. وعلى الرغم من سقوط جزء من السقف في هذا القسم في الجهة الشمالية الشرقية، فأعمال الإصلاحات تعد الأكبر في هذا الجزء من المسجد.

وأهمية هذا الرواق تعود إلى الكتابات الأثرية. وهي موجودة

على عقدين في وسط الرواق. (أنظر شكل **140**، **142**) وسنتبع في قراءتها نفس النسق الذي استخدم في القراءات السابقة.



شكل 140 الرواق الشمالي الغربي بمسجد شروس، حيث أثار الترميم

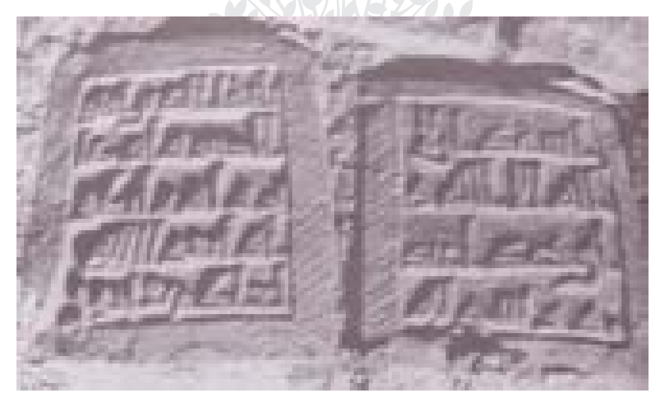
الحجر الأول:

«قل هو الله / الله الصمد / لم يلد ولم (يولد)».

ويلاحظ أن ثمة كلمة ناقصة من النص القرآني في السطر الأول. ونقصان السورة يشير إلى ضياع حجرين على الأقل. لان الراجح إنها قد كتبت كاملة ليتم المعنى. ونحن إذ نذهب إلى هذا الرأي، نتساءل كم من الأحجار المكتوبة والمزخرفة، التي ضاعت في هذا المسجد؟ ونحن إذ لا نستبعد نقلها من الموقع. لنقترح وجود بعض منها في الدعامات المستحدثة، وربما تكون مدفونة في الأكوام والتربة حول المسجد. وهذا ما يشير إلى أهمية وضرورة الحفريات بهذا الموقع.



شكل 141 كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس



شكل 142 كتابة أثرية وجدت على القوس المقابل للمحراب بمسجد شروس

الحجر الثاني:

«أشهد أن لا إله / إلا الله و أن محمد / اعبده و رسوله و ما جاء به الحق».

هذه شهادة التوحيد. وهي من قواعد الإيمان والإسلام. ولها دلالتها في مجتمع اختلفت فيه الأديان.

الحجر الثالث:

«يا (أ) يها الذين آمنو / ا أصبروا و صا / بروا و رابطو / ا و اتقوا الله / لعلكم تفلحون».

إن التأمل في معنى هذه الآية ربما يدفعنا إلى التساؤل حول وجودها بالمسجد، ومدى ارتباطها بالظروف التاريخية لجبل نفوسة. ولعل هذا التساؤل سيكون مثار جدل عند مناقشتنا لما يتعلق بالكتابات الأثرية التي عثر عليها بجبل نفوسة.



شكل 143 كتابة أثرية وجدت بالرواق الأوسط لمسجد شروس بمواجهة جدار القبلة

الحجر الرابع:

«رضينا بالله الذي ليس / كمثله ربا و بالإسلام / الذي لا يقبل غيره دينا».

وهذه العبارة جزء من حديث شريف. وهي الأخرى إذا تأملنا في معانيها، لابد وان تثير في أذهاننا تساؤلات حول علاقتها بالظروف الاجتماعي. وكذلك في الأسباب التي دعت إلى انتقاء هذا النص وغيره. ولا شك ان المعلومات التاريخية ستلقى بشيء من الضوء على هذا الموضوع.

الرواق الخامس:

ليس ثمة الكثير ليوصف به هذا الرواق، إلا ان هذا القليل وجب الإشارة إليه، إثراء للمواضيع المطروقة وتوثيقا لما يمكن ان يستفيد منه الباحثون على مختلف الصعد .

فبالإضافة إلى الأحجار التي أسلفنا الحديث عنها، يوجد حجر مزخرف في هذا الرواق، على الجدار الجنوبي الغربي، وعلى ارتفاع حوالي 30 سم. عن مستوى الأرض. وتتكون زخرفته من دائرة، وبوسطها نجمة ثمانية (أنظر شكل 144). ولقد رأينا هذه الوحدة الزخرفية في مسجد ابناين. وغيره من الأماكن في جبل نفوسة.[277]

ولازالت آثار عقد مسدود مرئية للناظر، في الجدار الشمالي الغربي. وتبدو أكثر وضوحا من خارج المسجد (أنظر شكل 145). ومن المرجح ان هذا العقد كان يشكل فتحة المدخل لقسم النساء، أو ربما كان أحد مداخل المسجد، قبل أحداث الجدار الفاصل. وهذه الظاهرة شبيهة بما وجد في مسجد أبي يحي بفرسطه.[278]

وتقع في هذا الرواق، في الركن الشمالي الغربي، حجرة صغيرة ذات شكل مربع. وهي متماثلة مع ما وجد في تنومايت

277– أنظر أعلاه، الفصل الثاني، ص 46.

278– المصدر السابق، ص 54.

وفرسطه.[279] وتوجد كتابة على حجر بالجدار الجنوبي الشرقي لهذه الحجرة. وتقرأ:



شكل 144 حجر مزخرف وجد بالجدار الشمالي الغربي بمسجد شروس



شكل 145 الجدار الشمالي الغربي لمسجد شروس، وهو من آثار أعمال الترميم

(الإسلام ديننا / و محمد نبينا / والقرآن إمامنا / والسنة طريقنا. أنظر شكل 146). وهنا إشارة إلى ركائز الاعتقاد في المذهب الأباضي.

279– المصدر السابق، ص. 41، 54–84.



شكل 146 كتابة أثرية وجدت قريباً من مدخل الحجرة الصغيرة بمسجد شروس

إن مسجد شروس يعد الأغنى بالكتابات الأثرية، التي عثر عليها حتى الآن، بمنطقة جبل نفوسة. ومناقشة أساليب هذه الكتابات ومواضيعها، وكذلك مقارنتها بكتابات عثر عليها في أماكن إسلامية أخرى، سيلقي المزيد من الضوء على الحياة الاجتماعية في شروس، إبان القرون الإسلامية الأولى. هذا بالإضافة إلى توضيح قيمتها الفنية والأثرية، التي ستساعد في تحديد تواريخها.

ويبدو أن شروس في القرون الإسلامية الأولى، قد تماثلت في حالة الاستقرار مع مدينة تاهرت، حاضرة الدولة الرستمية. وجدير بالذكر ان طائفة يهودية عاشت في قرية شروس، وربما بعض القرى الأخرى بجبل نفوسة.[280] و كذلك لا يستبعد وجود المسيحيين، على الرغم من اعتناق أغلب السكان للدين الإسلامي. وليس بمستغرب ان القوافل التجارية قد رافقها أناس من مختلف الملل والنحل.[281]

280– الشماخي، السير، ص 321.
281– المصدر السابق، 273.

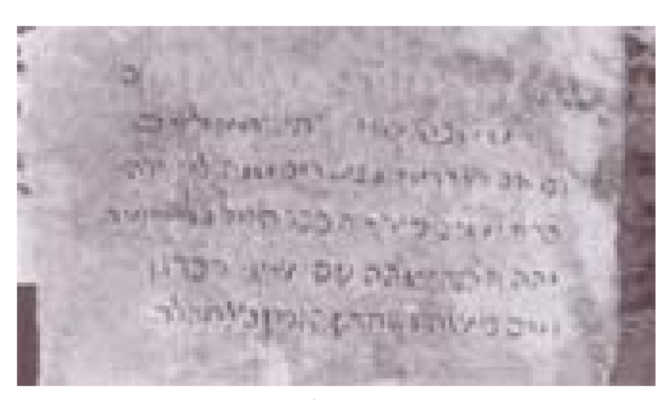
ويرجح ان الحوارات حول الدين ومتعلقاته، قد شكلت جزءا من الأحاديث المتداولة في ذلك الوقت. وعلى العموم فالكتابات، التي عثر عليها بشروس تؤيد هذا الرأي. فنحن نلاحظ ان الكتابات تتمحور حول إبراز العقيدة الإسلامية، والرسائل الموجهة من خلالها إلى إتباع الديانات الأخرى. وليس ثمة غموض في هذه الكتابات حول حوارها مع أهل الكتاب. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى.

ولا يفوتنا أيضا ان نستشف من خلال الكتابات بمسجد شروس ما تعرض إليه أهالي نفوسة من محن، متمثلة في التهديدات والغزو الخارجي.[282] ولذا جاءت بعض النصوص لترفع شعارا للتصدي والصبر والمصابرة. وفوق كل هذا لم ينس الأباضيون ان يوثقوا قواعد مذهبهم بأهم قرى جبل نفوسة، ألا وهي قرية شروس.

وإذا تجاوزنا الإشارات التاريخية،[283] فالدليل الأثري يؤكد على وجود طائفة من اليهود بقرية شروس. فلقد عثر على كتابة عبرية بأنقاض شروس. والأمر يتعلق برجل من أهل تندميرة يحتفظ بحجر يحتوي على هذه الكتابة. ولقد ذكر أنه قد عثر عليها في أطلال قرية شروس. ولم نتمكن من رؤية الحجر وتصويره إلا بعد جهد كبير. (أنظر شكل 147). وتتكون الكتابة من ستة أسطر. وتقرأ ترجمتها:

«...../ شهــــ (ر) شباط (في) سنة خمسة آلاف / و أربعة و عشرين سنة من بداية الخليقة / الر (حيم) سيجعل موتها غفرانا لكل ذنوبها / ومكانها مع أولئك الذين يرقدون في حبرون / ومع موسى وهارون آمين إلى الأبد صله».

282– الشماخي ، نفس المصدر، ص . 244.
283– أنظر أعلاه، ص . 89.



شكل **147** كتابة أثرية عبرية وجدت بقرية تندميره القديمة

ويبدو ان السطر المفقود في البداية يحتوي على اسم المرأة المتوفية. والتاريخ يشير إلى شباط 5124. وهذا يعني يناير – فبراير 1364 – الثامن الهجري.

ولقد تم العثور على شاهدين لقبرين، عليها كتابة عبرية، إبان العمل الحقلي المتعلق بهذا لبحث. ومكان العثور عليهما هو الموقع المعروف بالمقبرة اليهودية.[284] والكتابة على أحدهما قد تأثرت بفعل الزمن، أما الآخر فتقرأ ترجمته على النحو التالي:

«هناك تجمع في الجنة حانوته / ابنة الربى موسى العا (فية) وال (حياة) للربيين / ولكل الاسرائليين الذين ماتوا / في اليوم التاسع والعشرين شيفان (في) سنة / خمسة آلاف ومائتين / وخمسة وعشرين سنة / إلى بدء الخليقة ال (حيم) سيجعل موتها غفرانا لكل ذنوبها / ويجعل مكانها مع أولئك الذين يرقدون في / حبرون مع موسى وهارون / و (مع أولئك الذين ي) رقدون ب (كل) س (لام)».

284– المصدر السابق، ص 77.



شكل **148** كتابة أثرية عبرية وجدت بموقع المقبرة اليهودية بشروس

وتؤكد الروايات المحلية على ان شروس قد تصدع بنيانها وهجرت في القرن السادس الهجري – الثالث عشر الميلادي. وتربط الروايات هذا الحدث بالحرب التي وقعت بين شروس وقرية ويغو. وأشار بعض الكتاب أيضا إلى هذه الرواية.[285] ولكن الدليل الأثري الآن يؤكد على ان شروس كانت عامرة في بداية المنتصف الثاني للقرن التاسع الهجري – الخامس عشر مسيحي. والهجرة التي يشار إليها – وهي حقيقة – تكون قد تمت بعد التاريخ.

285– ليفسكي، نفس المصدر، ص 44–5.

لقد اشرنا إلى ان المسجد وكذلك بقية الموقع قد عرف منسوبا إلى أبي معروف، ووفقا لما ترويه المصادر التاريخية، أن أبا معروف الشروسي، كان حاكما لشروس في القرن الثالث الهجري– التاسع مسيحي.[286] وكان من ضمن أولئك العلماء، الذين يقصدون للاستشارة والفتوى. وهذه المعلومات لا تعني بالضرورة إنشائه للمسجد، بقدر ما تعني اهتمامه به، وربما تطويره إلى الدرجة التي ضاهى فيها مسجد أبي منصور إلياس في تندميره. ومسألة نفي نسبة إنشائه إلى أبي معروف تؤكدها معلومة تاريخية وردت بخصوص المسجد، في القرن الثالث الهجري – التاسع مسيحي[287] وكان ذلك قبل توليه لمنصب الحكم في قرية شروس.

ومن الاحوط الآن ان نؤكد على وجود المسجد في بداية القرن الثالث الهجري. وإذا قدر للحفريات ان تجرى بهذا الموقع، فالأدلة الأثرية ستلقى المزيد من الضوء على هذا الجانب وغيره.

ولقد تم العثور على الكثير من القطع الفخارية والخزفية حول المسجد، وفي أجزاء أخرى من الموقع. وكذلك وجد بالشمال الشرقي من المسجد، ما يتخلف عادة من أفران صناعة الفخار. والموقع يمثل كثيباً من الطين المحترق. وهذا يذكرنا كثيرا بما عثر عليه في قرية فرسطه.[288] وربما كانت شروس هي الأخرى مركزا لتصنيع الفخار في جبل نفوسة. أما القطع الفخارية المجمعة من الموقع – فهي كمثيلتها في فرسطه – لا تشكل موضوعا مستقلا لدراسة علمية موضوعية.

والمقارنة بين مدينة تاهرت الأباضية وشروس تبدي لنا كثيرا

286– الشماخي، ص 263–4.

287– المصدر السابق، ص. 266، 298.

288– أنظر أعلاه، ص 57.

من الأوجه المشتركة. فالنسيج الاجتماعي والموقع الجغرافي أتاحا لكل منهما ان تلعب دورا في تجارة القوافل.[289] وبما انه لا يتوفر لدينا أدلة أثرية بخصوص الازدهار، الذي تمتعت به مدينة تاهرت، فالمعلومات التاريخية كافية في الوقت الحالي، للتدليل على الرفاه الذي عاشته هذه المدينة.[290] ومن المحتمل ان شروس قد تذوقت شيئا من ذلك الازدهار. وهذا ما يدلل عليه المستوى الراقي للزخرفة التي عثر عليها بالمسجد. وكذلك وجود المكتبة العامة لأهالي نفوسة بشروس، وغيرها من المظاهر الحضارية، مثل مدرسة ابن ماطوس.

ولا ننسى ونحن نعقد هذه المقارنة ان نشير إلى ان شروس أقدم عهدا. ولقد عايشت التسامح الديني قبل ان تظهر مدينة تاهرت للوجود. وإشارات الكتاب والمؤرخين القدامى إلى شروس على إنها مدينة عظيمة، يدعمه ما أبرزه هذا الموقع من شواهد على ذلك. والحقيقة ان شروس في تصنيفها الأثري الإسلامي لن تكون أقل قيمة من أجدابيا وسلطان وزويلة، وغيرها من المواقع الإسلامية.[291]

ويغو:

تقع قرية ويغو على بعد 7 كم، في الاتجاه الجنوبي الشرقي، من شروس. وتنتشر مبانيها على مساحة مسطحة، تتخللها بعض المنخفضات، التي ربما تكونت بفعل مياه السيول. وهي اليوم قرية مهجورة. وتقدر مساحة هذا الموقع بحوالي 2 كم مربع (أنظر شكل 149) ولقد تسبب البناء في قرية (مرقس) الحديثة، إلى المزيد من

289– الشماخي، السير، ص 273.

290– ابن الصغير، نفس المصدر، ص 12، 26–7. أنظر أيضا، الجيلاني، نفس المصدر ص 455–6.

291– Libya Antiqua, vol. VIII, Rome, 1971, pp. 106, 113-4.

الدمار لقرية ويغو الأثرية. فلقد نقل أهالي مرقس من هذا الموقع الكثير من الأحجار لبناء دورهم السكنية. ويخشى ان يكون بعض منها ذا قيمة فنية وأثرية، وعلى الرغم من هذا الاعتداء على قرية ويغو الأثرية، لازالت مبانيها شاهدة على التقدم المعماري، الذي وصلت إليه ويغو. ولا يوجد في قرى الجبل ما يضاهي المستوى المعماري لهذه القرية.



شكل **149** الموقع الأثري لقرية ويغو القديمة

ويبدو ان ندرة المعلومات التي وصلتنا عن ويغو، تعود إلى قربها من حاضرة جبل نفوسة، قرية شروس.[292] وكل ما كتب عن ويغو في العصر الحديث يعد أقل من القليل. فباسي – مثلا – (R. Basset) يذكر ان ويغو مدينة بنواحي نالوت ،وتعرف بأولاد بن محمود .وهذه معلومة خاطئة .ويضيف بأنها تحتوي على150 بيتا. وسكانها خليط من العرب والبربر.[293] وهذا خطأ آخر.

292– كما رأينا فان قرية ويغو وما حول شـروس من القرى لم تذكر بالاسـم، باعتبارهـا توابع للحاضرة الأباضية. على الرغم مـن أهمية بعض تلك القرى. وتحولها في فترات ما إلى مقرات لحكم الجبل بكامله.

293– باسي، نفس المصدر، ص 458.

ولقد تنبه ليفسكي (Lewicki) للخلط ،الذي وقع فيه باسي ،والذي أصلح بواسطة دي بوا (De Pois) كما ان ليفسكي اعتمد في حديثه عن ويغو ،على بعض المراجع الأباضية ،التي تهتم بموضوع الرجال والتاريخ .ونقل عنها ما يتعلق بالحرب التي دارت بين قريتي شروس وويغو ،لمدة سبع سنوات .وكانت نهايتها تدمير قرية شروس في القرن الخامس الهجري[294]. وهذا القول بتدمير شروس وهجرة سكانها، يشوبه شيء من الغموض بعد العثور على شواهد القبور العبرية. وبغض النظر عن هذا، فليس من المعقول ان تدمر قرية أباضية قرية أخرى، خاصة عندما تكون القرية المدمرة هي شروس، بما تعنيه للأباضيين.[295]

لقد جاء ذكر قرية ويغو لأول مرة في المصادر التاريخية، نسبة إلى رجل عاش في القرن الثاني الهجري. ويدعى عبد الله الويغوي.[296] وكان من أبرز الشخصيات العلمية في وقته. ومن العجيب ان هذا الرجل كان معروفا أكثر من قريته وبيوتها الرائعة. ولم يبق من المسجد، الذي نسب إليه إلا رواق واحد. ويقع هذا المسجد في الركن الجنوبي من القرية.[297] ولقد لحقت أعمال الترميم الكبيرة بهذا الرواق اليتيم. (أنظر شكل 150). وعلى الرغم من ذلك أمكن رفع مخططه الأصلي بالكامل. وتبين ان مخطط المسجد يميل إلى الشكل المستطيل. ويبلغ

294– ليفسكي، نفس المصدر، ص 458.

295– علي يحي معمر، موكب، الجزء الثاني، ص 181.

296– الشماخي، السير ، ص 170.

297– يوجد مسـجد آخر مشيد في باطن الأرض. ولا يبعد إلا أمتار قليلة عن مسـجد أبي مهدي. ويطلق السـكان في هذه المنطقة على هذا المبنى مسجد أبي غزالة. وربما يكون المسجد المشار إليه باسم مسجد اجلمان، أو اجلامن. (أنظر ليفسكي، نفس المصدر، ص 47).

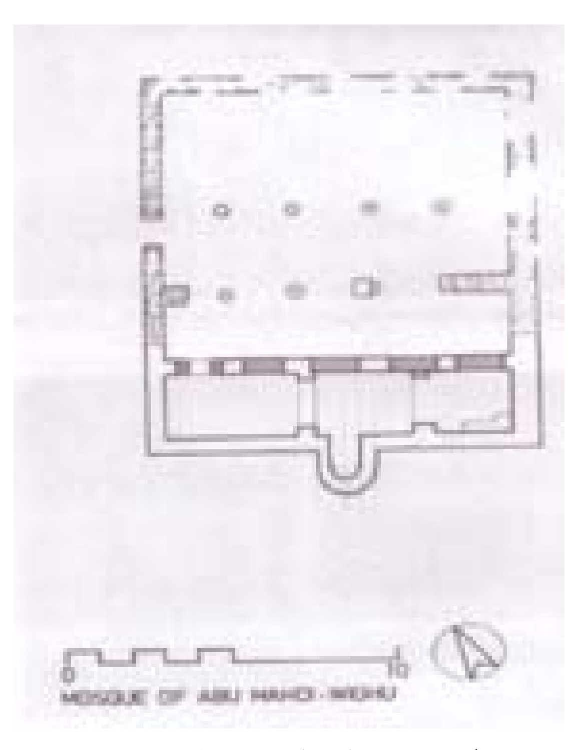
طول جدار القبلة حوالي 11.60م. والجدار، الذي يشكل الجهة الشمالية الشرقية يبلغ طوله حوالي 14.10م. ويبلغ سمك الجدران 80 سم تقريبا. كما تبين انه كان للمسجد مدخلان، أحدهما يقع في الجدار الشمالي الشرقي، والآخر في وسط الجدار المقابل. وثمة احتمال بوجود مدخل ثالث في الجدار الشمالي الغربي.



شكل 150 مسجد أبي مهدي بويغو كما يبدو من الجهة الجنوبية الشرقية



شكل 151 الرواق الوحيد القائم بمسجد أبي مهدي الويغوي



شكل 152 المقطع الأفقي الأرضي لمسجد أبي مهدي بقرية ويغو

ورواق القبلة، المرمم حديثا، مغطى بقبو برميلي. ولا توجد بهذا الرواق ما يستحق الذكر سوى المحراب، الذي يبلغ عمقه حوالي 1.60م. (أنظر شكل 153، 154). وأما محرابه المعقود بداخل الرواق، يتميز ما يبرز منه خارج الجدار بشكل اسطواني، يشبه شكل القبة، التي تتدرج في انحنائها كلما اقتربت من الأرض. وهذا النوع من المحاريب منتشرة في الشمال الإفريقي.



شكل **153** لقطة داخلية للرواق المتبقي من مسجد أبي مهدي بويغو



شكل **154** المحراب البسيط بمسجد أبي مهدي بويغو

ويلاحظ ان جزءا من الأقواس التي كانت بقاعة الصلاة لازالت منظورة في رواق القبلة، إذ ان أعمال الترميم لا تغطيها بالكامل. (أنظر شكل 155). ولقد أمكن بعد تتبع بقايا الآثار للمسجد من وجود رواقين آخرين خلف رواق القبلة (أنظر شكل 156). ومن المحتمل ان المسجد كان يتكون من خمسة أروقة، بما في ذلك ما هو مخصص لصلاة النساء.



شكل **155** مسجد أبي مهدي وبقايا امتداد جدران المسجد المتصدع بويغو

ومن الراجح ان دور ويغو في تجارة القوافل ليس بأقل أهمية من دور شروس وتندميرة. ومما يدلل على ذلك موقعها الجغرافي، ومستوى بيوتها الراقي، والذي يشير إلى ثراء هذه القرية في وقت من الأوقات. وأما ما يبدو عليه مسجدها من افتقار للقيم الفنية، فهذا عائد إلى تصدع المسجد الأصلي بالكامل.

ومما يدعو للحيرة ان الأحجار الأصلية للمسجد لا ترى بالموقع. وطالما أننا قد اشرنا إلى ما فعله أهالي قرية مرقس بهذه القرية

الأثرية، فيحتمل ان هذه الأحجار كانت من ضمن المنقولات. وإذا كان هذا الاحتمال صحيحا وفلا يستبعد ان بعضا من الأحجار قد احتوت على زخارف أو كتابات. وهذا الفعل كثيرا ما يحدث في الأماكن، التي تفتقر إلى الحس الثقافي للمحافظة على التراث.



شكل 156 مسجد أبي مهدي كما يبدو من الجهة الجنوبية الغربية

ونحن على علم بان أبا مهدي الويغوي، الذي ينسب إليه المسجد، توفي خارج أسوار اطرابلس، عندما كان الإمام عبد الوهاب الرستمي يحاصر المدينة في سنة (190هـ – 805، 6 مسيحي).[298] ووفقا لهذه المعلومة تظل ويغو الأقدم ذكرا بين المساجد في جبل

298– الشماخي، السير، ص 18–9. أنظر أيضا ، دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 510–1.

نفوسة.[299] وأهميته تتعلق بمخططه الأصلي، إذ ان هذا المخطط الأرضي قد اتخذ نموذجا لتخطيط المساجد بالجبل لعدة قرون.[300] ولا يفوتنا ان نذكر ان جميع مخططات المساجد التي تطرقنا إليها فيما سبق تتماثل مع ما وجدناه في قرية ويغو. ولذا أضحى من المتيسر معرفة هذه الجزئية من مكونات المسجد الأباضي في جبل نفوسة وفي القرون الإسلامية الأولى.

ومن الممكن الآن حصر بعض المواصفات، التي ميزت المسجد الأباضي، في الجزء الغربي من جبل نفوسة، إبان القرون الأولى للإسلام. فبالإضافة إلى الشكل شبه المستطيل، تميزت المساجد بوجود ثلاثة مداخل. وقد خصص إحداها لاستعمال النساء. ونلاحظ ان المسجد الأباضي يفتقر بشكل عام إلى استعمال الزخارف والكتابات. وما رأيناه في بعض الأمثلة يعد خروجا عن القاعدة، التي تركز على البساطة في ميدان العمارة.

وفي هذا الإطار لا نغفل عن ذكر الجدار الفاصل في المساجد، الذي يصنف هو الآخر كعلامة مميزة للمسجد الأباضي. وهذه الظاهرة لم نشاهدها في المساجد الإسلامية الأولى، على الرغم من صلاة النساء في المساجد. كما ان غياب المنبر في مساجد الجبل ظاهرة مميزة، كما أوضحنا عند مناقشة هذه المسالة. وأما ما يتعلق بالمئذنة فلم يحسبها الأباضيون من ضروريات المسجد. والعنصر المعماري الذي يسمى (الصمعة) استخدم في المسجد الأباضي لتحديد مكان المسجد. ويبدو

299– الشماخي، السير ، ص18–9. وانظر ايضا ، دبوز، نفس المصدر، الجزء الثالث، ص 500.

300– لا يفوتنا ان نلحظ ان كل المســاجد، التي اتينا عليها تشــترك في شكل مخططها الارضي.

إنها لم تكن محصورة على هذا الأمر. وأخيرا فبناء المساجد وغيرها على المستوى أقل من مستوى الأرض، أو في باطنها، فهذا عائد إلى الوقاية من الحرارة التي تتميز بها المنطقة في أشهر الصيف، ومن البرودة في أشهر الشتاء. وأما تغطية المباني بالأقبية البرميلية، فهذا مما يجنب الأسقف التأثر بمياه الأمطار، وتكدس الأتربة فوق الأسطح. ولا يغيب عنا ملاحظة المساحة الصغيرة للمساجد ،مع اعتبار الكثافة السكانية العالية.[301]

وما يواجهنا هنا هو تحديد تاريخ لتبني أهالي نفوسة لهذا النموذج من المساجد. وربما نتساءل حول عدم تطوره لفترة طويلة من الزمن حتى في مناطق إسلامية أخرى. ونحن لا نستطيع القول بعدم وجود من يتفوق في مجال العمارة في جبل نفوسة. لان الأبنية ذات المستوى الراقي والدور الجميلة بقرية ويغو تفند هذا الزعم.

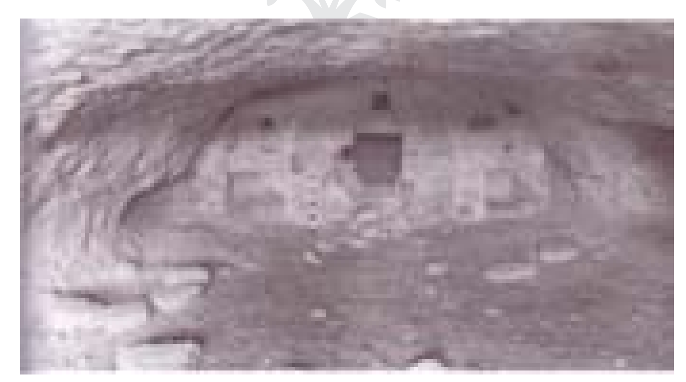
ويبدو ان علينا لإلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع، النظر إلى شرق العالم الإسلامي، وبالتحديد إلى العراق. وذلك لان التأثر الأقوى لا يظهر بوضوح في جبل نفوسة. ومن الممكن مناقشة هذا الأمر في مسارين. الأول منها يتعلق بالمسجد الأباضي، الذي استعاد مميزاته الأساسية، من المساجد الإسلامية الأولى في العراق، مساجد مثل الكوفة والبصرة. ولابد ان نلاحظ أولا ان وجود الخندق حول المسجد في العراق عائد إلى الضرورات الحربية واختلاف الموقع الجغرافي. وأما غياب الأفنية في مساجد الجبل فعائد إلى الظروف المناخية. والمسار الثاني ما يتعلق بتعاليم الأباضية نفسها. فالنظرة المحافظة للفكر الأباضي الديني، جعلت من الأبنية، خاصة المساجد، التمسك بطابع البساطة. ومن الجدير ان نذكر هنا ان

301– الشماخي، السير، ص 310.

المساجد الإسلامية اقتصر همها على إقامة العبادة، في أماكن لا تشغل المصلي عن الصلاة. ولهذا لم يأخذ أهالي نفوسة أفكارهم الدينية، من شرق العالم الإسلامي وحسب، بل تأثروا أيضا بهذه المنطقة في مجال الفنون والعمارة.

منازل ويغو:

عندما يقف المرء بين أطلال قرية ويغو، يتساءل لما لم يجذب هذا الموقع أنظار المعنيين والمهتمين بالتراث؟ كما يعتريه نوع من التحسر لما يرى من إهمال للعناية به، والمحافظة عليه من العبث!. ولابد له وان يشعر منذ الوهلة الأولى ان هذه القرية قد عاشت في وقت ما فترة مزدهرة. ذلك ان مظاهر الفن المعماري الراقي في هذا الموقع يجعله الأروع في أنحاء جبل نفوسة .



شكل **157** منزل تحت الأرض بقرية ويغو

والوقع ان أطلال الدور بهذه القرية تختلف عن كل ما رأيناه في قرى جبل نفوسة. فهي تتناثر فوق هضبتين، يفصلهما منخفض صغير، يبلغ عرضه حوالي 800م. ويوجد أمام هذه الدور بيوت

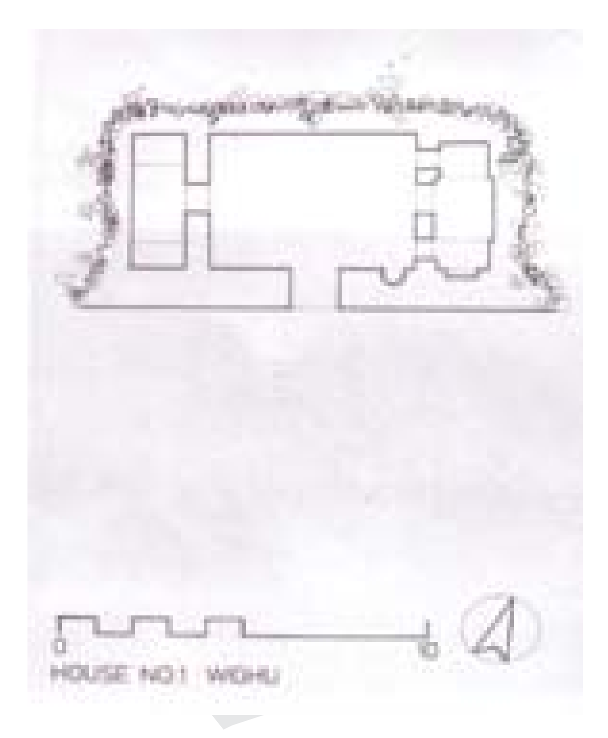
أخرى محفورة في باطن الأرض. وتتساوى تقريبا أغلب هذه الدور في المساحة والتخطيط. ولا تختلف عن بعضها إلا في تفاصيل دقيقة. ولذا سنحصر التركيز على منزل واحد منها. وسنأتي على ذكر المنازل الأخرى، إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك.



شكل 158 منازل بقرية ويغو الأثرية

منزل المحراب:

لا يعرف هذا المنزل بهذا الاسم. ولكننا أطلقنا عليه هذه الصفة، لكونه المنزل الوحيد، الذي احتوى على محراب بداخله. ويقع هذا البيت في الجهة الشمالية الغربية للقرية. (أنظر شكل 158) وهو ذو تخطيط شبه مستطيل. ويبلغ طول جداره الجنوبي الشرقي حوالي 9.90م، والجنوبلي الغربي 5.40م تقريبا. وتقدر مساحة البيت، بما في ذلك الفناء الذي بداخله، بحوالي 52، 23 متر مربع (أنظر شكل 159) (أنظر شكل 160) للمقارنة.

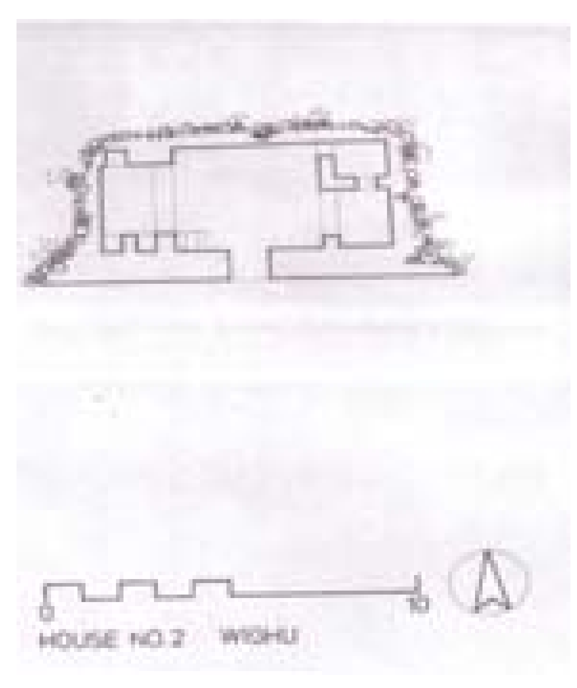


شكل 159 المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة

ويكتنف هذا الفناء حجرات من الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية. ويتماثل هذا المنزل بطابقين في الأعم الأغلب مع سائر المنازل بالموقع. وجميعها مغطى بأقبية برميلية (أنظر شكل 161). ويتميز بعض منها بأكثر من طابقين (أنظر شكل 162). ويذكرنا مشهد هذه المنازل، نظراً إليها من مسافة، بقصير عمره وحمام الصرخ بالشام.[302] وتبدو هذه البيوت، مع غياب الفتحات

302– أنظر كمال الدين سـامح، العمارة في صدر الإسـلام، القاهرة، 1964،

بجدرانها الخارجية، كمبان صغيرة محصنة. ولا يشذ عن هذا الوضع إلا منزل واحد. ولهذا المنزل نافذتان في الواجهة. ولكن هذه الفتحات تبدو غير أصلية (أنظر شكل 163).



شكل 160 المخطط الأفقي الأرضي لمنزل بقرية ويغو القديمة

ويوجد بمنزل المحراب مدخل واحد يتوسط جداره الجنوبي الغربي. ويبلغ عرضه حوالي 1.30م، وارتفاعه 2.40م. ويبلغ سمك جدرانه حوالي 1.26م (أنظر شكل 162). ويبدو ان هذا المدخل كان يكتنفه عمودان، كما هو الحال في منزل آخر، بالشمال الغربي

أنظر الأشكال، 16، 17، 20.

للقرية (أنظر شكل 165).



شكل 161 فناء منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية



شكل 162 بقايا آثار منزل بقرية ويغو الأثرية



شكل 163 منزل قديم بقرية ويغو، في الجنوب الغربي للقرية



شكل 164 مدخل منزل المحراب بقرية ويغو

على يمين الداخل إلى منزل تجويف في الجدار الجنوبي الشرقي. ووجوده في هذا الموضع يعطيه صفة المحراب.[303] (أنظر شكل

303– يبدو هنا ان السكان قاموا، بخلاف الاخرين في مناطق الجبل، بترميمات حافظـت على الطابع الاصلـي. ويمكن ملاحظة هذا الأمـر في المنازل التي تم اصلاحها، والمنتشرة بهذا الموقع.

167). وهذه الظاهرة منفردة في جبل نفوسة. ولقد رأينا أمثلة في القصور الأموية، التي اتخذها الأمراء للاستجمام، وكذلك في قصر الاخيضر.[304]



شكل 165 مدخل لمنزل بقرية ويغو في الطرف الغربي للقرية

وإذا تجاوزنا مدينة سامراء فيما يتعلق بهذه الظاهرة، فإننا لا نعثر على منزل بمحراب في المواقع الإسلامية، التي تعود إلى فترة مبكرة. ويجدر القول ان المحاريب المسطحة، التي وجدت بسامراء، لم تكن إلا للزينة.[305] ولذا فهذا المنزل– حسب علمنا – يظل مثلا

304– كرزويل، العمارة الإسلامية المبكرة، المجلد الثاني، ص 106. 126–7، 196.

305– أنظـر، E. Herzfed, Die Ausgrabun Von Samorra, I, Der Wandschuch oher Bauten Von Sammaran und Seine Ornamen– tik, BERLIN, 1923 pp, 181, 225, Abb 259, 260, 316, LXII, C/281. Excavalion at Samarra, 1936–39, Bagdad, 1940 Part I , P 24, PI. LVII, also , B Franeis and it Nqshabandi, AL Maharib al Qadima, Sumer, VII, 1951, p, 213, pl. 1,2, cf CK. Williams, Bulletin of the Metropolitan; Museam of Art, N.S.II 1994, PP. 2, 286. See F

متفردا في العمارة الإسلامية المبكرة، وربما يعود تاريخه إلى القرن الثاني – الثالث الهجري – الثامن، التاسع مسيحي.



شكل 167 داخل منزل المحراب بقرية ويغو الأثرية

ونرى، في الفناء أيضا، إلى الجهة الشمالية الشرقية حجرة تماثل شكل الإيواء (أنظر شكل 168). ويكتنف مدخلها حنيتان معقودتان، حيث يبلغ قاعدهما حوالي 30 سم طولا، وارتفاعهما حوالي 35 سم. وعند مواجهة مدخل الحجرة، تبدو الحنية التي على اليمين مغطاة بعقد على هيئة حدوة الفرس (أنظر شكل 168). وهذا مثل آخر لم نره بعمارة الجبل. وتتكون هذه الحجرة من شكل شبه مستطيل، حيث يبلغ طول الجدار الجنوبي الشرقي حوالي 1.60 م، الجدار الشمالي الشرقي حوالي 2 م. ويتكون سقف الحجرة من قبو

Shafi, I op,. cit p 622.

برميلي، كما هو الحال في جميع الحجرات. ويكتنف هذه الحجرة حجرتان صغيرتان. وتقدر مساحة الحجرة التي على اليمين، حال مواجهتهما، بحوالي 2 متر مربع. والأخرى 1.43 متر مربع تقريبا. ويوجد بالحجرة الأخيرة درج يقود إلى الطابق الثاني من المنزل. ومدخل كل من الحجرتين يقدر عرضه بحوالي 55 سم. وارتفاعه حوالي 95 سم (أنظر شكل 168).



شكل 168 الحجرة الرئيسية بمنزل المحراب كما تبدو من الجهة الجنوبية الغربية لويغو

ويوجد في الشمال الغربي من الفناء حجرة واحدة. وتقدر مساحتها بحوالي 6.30 متر مربع. ويبلغ عرض مدخلها 90 سم، وارتفاعه حوالي 1.10م (أنظر شكل 169). وثمة سدتان حجريتان في نهاية الحجرة.

ولعل ما يثير الانتباه في هذا الفناء، تلك الأحجار البارزة عن الجدار الجنوبي الغربي (أنظر شكل 170) وهذه الظاهرة تذكرنا بجذوع الأشجار المثبتة في جدران قصور التخزين. والأرجح إنها قد

استعملت للوصول إلى الطابق الثاني من هذه الجهة. ويبدو أن الطابق الثاني قد استعمل للتخزين. ومما يدعم هذه الفكرة عدم وجود بقايا آثار لقصر تخزين بالموقع.



شكل 169 فناء منزل المحراب بقرية ويغو، والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي



شكل 170 فناء منزل المحراب بقرية ويغو، والحجرة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي

وكما اشرنا سابقا فالمنازل تشترك في التخطيط العام، وأساسيات البناء المعماري. ولبعض المنازل حجرتان مصممتان على شكل إيوان. والفارق المميز بين هذه الدور، يكمن في عدد الحنيات المجوفة (أنظر شكل 171**). ولا يفوتنا ان نتوقف عند طريقة إنشاء هذه المنازل. فلقد بنيت الجدران أولا من الطين، ثم لبست من الخارج بأحجار جيدة القطع (أنظر شكل** 172**).**



شكل 171 بقايا آثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة

ولا شك أن هذا الطراز من البيوت، تتمثل فيه مميزات البيت الإسلامي، التي رأيناها أكثر ما يكون وضوحا في قصر المشتى، وكذلك في قصري الطوبة والاخيضر. ولكنها أكبر حجما وأكثر تفصيلات.[306]

306– كرزويل، العمارة الإسلامية المبكرة ، المجلد الثاني، ص 147–8، 197–8. أنظر أيضا ، فريد شافعي، نفس المصدر، ص 186–9.



شكل 172 بقايا آثار منزل متصدع بقرية ويغو القديمة

ونحن إذ ننتقي نموذجا للبيت الإسلامي في جبل نفوسة، متمثلا في بيت المحراب بقرية ويغو الأثرية، لنرمي بالدرجة الأولى، إلى إثارة الانتباه إلى هذا الموقع الهام. إضافة إلى ما يقتضيه هدف البحث من إبراز للقيم الفنية والمعمارية بهذه المنطقة.